

## ناحية في حافظ

نشكر للدكتور زكي أبى شادى خدماته الأدبية الكبيرة التى يقوم بها طامّةً واصدار هذا العدد لذكرى حافظ خاصةً . واذا كان الحظ لم يسعدنى بأن أكتب عن شوقى فأتى أجد الفرصة سانحة لأن أقول كلمة عن حافظ فى أهم ناحية من حياته وتقسيم حافظ من حيث هو فكرة التّمعتّ فى الوجود وحيوية لها ما للكائن الحىّ من مزايا هى :

١ — شعره الذى يصوّر فيه نفسه ونفسية الشعب ويعبر فيه عن آماله وآمال وطنه وعن الأمة وكل ما يتحرك فيها أو ما يتطلبه لها .

٢ — نفسه الهائجة النائرة العالية التى نبلغ عنان السماء فى الارستقراطية التى تصدّها عظمة المال والجاه فتنزّل بها الى الخفيض فتتطرف فى الديمقراطية الى درجة كبيرة ، ونفسه العابثة البائسة المتشككة .

٣ — حياته المتناقضة المملوءة آملاً وبؤساً وسعادةً وألماً وخوفاً وشجاعةً وحباً وكراهية .

وأظهر شىء فى حافظ من حيث هو كتلة حيوية تنقسم هذه الأقسام : نفسه وحياته وشعره . ونفسه هى القوة الموجهة لحياته من حيث عبوسها أو بؤسها فتظلم الدنيا ، ومن حيث أملها وانسراحها فتظهر العالم أمامه كله سرور وانسراح وبهجة وأنس . وشعره هو المظهر أو المعارضة التى ترينا نفسه وحياته وتفاعل العناصر من أثر النفس فى الحياة ومن أثر الشعر فى هيجان النفس أو هدوئها وظلمة الحياة أو بهجتها . ونفس حافظ ليست مثل نفسى ونفسك ، فلو كانت كذلك لعدّ حافظ واحداً مثلنا ، ولكن نفس حافظ كقلبه وقلبه هو قاب مصر وحياته هى حياة مصر ، فكل حادث يؤثر فى مصر نجد أثره فى نفس حافظ وقلبه وحياته وشعره أيضاً . والألم الذى يساور نفس حافظ والذى يؤثر فى نظره للدنيا ويتأثر بالتالى به شعره هو ألم مصر ، والبؤس الذى يساور نفسه هو مظهر نفسه ومظهر حياته ومظهر مصر أيضاً . وهذا التآلف بين حافظ وحياته وشعره ومصر فيه نصيب كبير من الحقيقة ، وهناك تآلف آخر بين الشاعر والفسان فى حافظ تصبغه صبغة البؤس التى تلازم حافظ فبكون حافظ الشاعر المتوقد الرقيق والفسان النائر المتشكك الحرّ الذى لا يراعى القيود ولا يعبأ بها ، وهناك حافظ البأس الذى يدمت الثورة على التقاليد والتشكك والهباح .

وهناك المصادمات ذات الأثر العميق الذي يبلغ من نفس الانسان — زيد أن نعرض في حافظ حتى نعرف كيفية تحول نفسيته وتكوينها على هذا الشكل الغريب . وأول تلك الصدمات التي صدمت حافظ هي موت والده وهو صغير مما جعل في نفسه أبلغ الأثر لأنه صار يتيماً لا أب له فأورثه هذا حزناً كبيراً تغلغل في قرارة نفسه وأثر في حياته أثراً كبيراً ، وكانت هذه أول صدمة له في حياته ومستقبل عزيمته .

أما الصدمة الثانية فهي تمكن النزعة الأدبية منه وهذه الروح الشعرية التي هفت به وتمكنت من صبغه بلونها والتي تبعت إلى نفس الشاعر عوامل الشاعرية من رقة الشعور واتصال هذا بالرائه لآلام الناس ومواساتهم وتلازم هذا الشباب والنفس المتقدة المرحه النائرة في حافظ، وفي اجتماع هذين معاً ما يجعله لا يرضى بالحياة العسكرية الخشنة من جانب لأنه شاب له أمل واسع ، وهو لا يرضى بالحياة العسكرية أيضاً من حيث أنها مذمجة ودمار ، وهذا مما لا تميل إليه نفس الشاعر ذات الحنان والرفقة .

فهاتان الصدمتان : تنازع الروح الشابية والروح الشعرية مع العسكرية من حيث هي خشونة وقتال دموي والألم الدفين الذي صادمه في أول ملامسته للحياة بموت أبيه — لها أثرها البالغ ، وأثر هاتين الصدمتين كبير في نفس حافظ وبالتالي في شعره : فهو الذي صبغ نفسه بصبغة التشكك والثورة والبؤس ، وكان شعره صورة لهذا التفاعل في نفسه وحياته .

هذه الكلمة هي نظرة سريعة مختصرة في ناحية من حافظ ابراهيم الشامخ الضخم الذي لا يمكن لقلمي الضعيف أن يوفيه حقه ، ولا أن ينصرف إليه بحكم شواغله وضيق وقته . وهناك نواح أخرى في حافظ عن شعره وأدبه وأثرهما في الأدب المصري الخاص والأدب العربي على وجه عام وأخلاقه ونفسه وأثر كل ذلك في نظراته الفلسفية الى الحياة .

وأعيد فأكرر شكرى للدكتور أبى شادى لهذه العناية وهذا التكرم لذكرى حافظ ابراهيم شاعرنا القومي ما

احمد أنور الجنزى